أخـت موسـى

قصص النساء في القرآن

[7] أخت موسى

وقد ورد ذكرها في قوله تعالى:{ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ } [القصص: ١١]، وكانت أسنّ من موسى عليه السلام، ومن هارون.

***

موجز القصة:

ذكر القرطبي أن أخت موسى: واسمها مريم بنت عمران، وافق اسمها اسم مريم أم عيسى عليه السلام، ذكره السهيلي والثعلبي وذكر الماوردي عن الضحاك: أن اسمها كلثمة، وقال السهيلي: كلثوم، جاء ذلك في حديث رواه الزبير بن بكار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة:**"أشعرت أن الله زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثوم أخت موسى وآسية امرأة فرعون** - فقالت: الله أخبرك بهذا؟ فقال:**"نعم** - فقالت: بالرفاء والبنين [حديث ضعيف].

ما أسعد موسى وأهناه يوم رُزق ووفق بهذه الأسرة المباركة، فإذا كان خير متاع الدنيا: المرأة الصالحة كما أخبر نبي الهدى صلى الله عليه وسلم، فكيف بثلاث نساء صالحات، إنها المرأة، ودورها في صناعة الحياة، دورها في البناء والعطاء، أماً أو زوجة أو أختاً أو بنتاً، هنا في قصص نساء موسى يتجلى لنا أهمية دور المرأة وقيمتها، وأثرها المبارك.

ولذلك قال علماؤنا حفظهم الله تعالى: وراء كل عظيم امرأة "، بل هي معه في كل تجاه، رحمة وشفقة، وحب ومودة وخدمة، وإبداع، وتفوق، ورقي وتقرب، فها هو نبي الله موسى، النساء معه في كل

اتجاه: أمه وأخته وامرأته. واليوم وفي هذه القصة يتجلى دور الأخت مع أخيها، حباً، وخوفاً عليه وشفقة، وتعرضاً للمخاطر وتضحية من أجله، إنها الأخت، وكلنا له أخت فهل عرفنا حقها؟ وهل قدرنا لها قدرها، طالما تحدث المتحدثون، وأطنبوا عن حقوق الأم أو الزوجة، لكن من منا وقف أو فكر بحقوق الأخت عليه، أو بحقوقه على أخته، إنها الرحم التي وعد الله أن يصل من وصلها، ويقطع من قطعها، إنها الرحم الباب إلى الجنة، بكل صراحة كم نهمل أخواتنا؟ كم نهمل البر بهنَّ، أو صلتَهن والجلوسَ معهن؟ كم ننسى أو نغفل عن حقهن؟ كم نتركهن عرضة للوحدة أو الحاجة؟ كم وكم؟ وكم في هذا الباب من سؤال وعلامات استفهام، ليس من جهة حقوق الأخوات فقط، بل وأيضاً من جهة حقوق الإخوة على الأخوات؛ وهذه الخنساء تقول لأخيها صخر لما مات:

فـــلا والله لا أنســـاك حـــتى ::: أفارق مهجـــتي ويشـــق رمســـي

فكم من أخت نسيت حق أخيها صلة أو خدمة أو حباً وشفقة؟ إنها حقوق شرعية متبادلة، أوصى بها هذا الدين العظيم، لقد كان لأخت موسى يدٌ بيضاء عليه، إذ امتن الله عليه فقال له:{وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ} [طه: ٣٩]؛ إذ جعلتك أمك في التابوت، ثم في البحر، ألقته أمه في اليم{وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ} [القصص: ١١]؛ أي: اتبعي أثره.

فهي لا تدري أين يستقر؟ قصيه واطلبيه، هل تسمعين له ذكرًا؟ أحيٌّ ابني؟ أو قد أكلته دواب البحر وحيتانه؟ اتبعي يا ابنتي أثره، انظري كيف يُصنع به؟ قصيه يا ابنتي ولا تتركيه يغيب عن ناظريك؟! فما كان من هذه البنت البارة المطيعة إلا أن تسمع كلام أمها، وأن تستجيب لطلبها مهما كانت المخاطر، وهكذا فلتكن البنات

مع الأمهات، بر وطاعة وحسن أخلاق، فالأم باب من أبواب الجنة، كما قال صلى الله عليه وسلم :"وَيْحَكَ الْزَمْ رِجْلَهَا فَثَمَّ الْجَنَّةُ -؛ إنها فرصة لكل بنت أكرمها الله بوجود أمها، قبل أن تندم وحينها لا ينفع الندم، فالزمي يا كل بنت قدم أمك واسمعي وأطيعي لها، امتثالا لأمر الله ورسوله، وإقتداء بأخت موسى، فقامت دون تردد أو تلكأ أو تأخير، تتبع الصندوق:{فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ} [القصص: ١١]، أخذت ترقبه بطرف عينها من بُعد،لم تدن منه ولم تقترب، لئلا يُعلم أو يُشك بصلته بها، فمن ذكائها كانت تمشي جانبا وتنظر اختلاسًا كأنها لا تنظره{ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ} [طه: ٤٠]؛ تمشي على حافة النهر تتبعك، عينها على التابوت خوفاً عليك، يا ترى كيف حالها وشعورها وهي ترى الصندوق يجري على سطح الماء؟!

ربما ارتفع قلبها ونزل مع ارتفاع كل موجة ونزولها، إنه قلب الأخت الرحيمة يكاد يطير أو ينخلع، فهي خائفة على غرق الصندوق تارة، وخائفة من أعين الناس يرقبونها تارة، وخائفة من أعين حرس فرعون الذين يفتشون عن الصبيان في كل مكان لقتلهم تارة، فآهٍ لقلبك أيتها الأخت البارة؟{فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [القصص: ١١].

فمن حسن صنيعها وذكائها لا يشعرون أنها ترقبه، ولا بأنها أخته، وهذا من فطنتها، وأخذها الحيطة والحذر، وجميل أن يُغرس مثلُ هذا في نفوس الأولاد والبنات وَيُرَبَّوْنَ عليه في الحياة، وأن الفطنة والذكاء ليس خاصًا بالذكور دون الإناث، يؤكد هذا أنها لما رأت أن آل فرعون التقطوه، ورأت حيرتهم عندما امتنع عن المراضع، استغلت هذه الفرصة فدخلت وعرضت، وتكلمت بهدوء

ودون أي ريبة:{هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ} [القصص: ١٢]؟.

ومن حرصها وتلهفها على أخيها، زادت فقالت:{وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ} [القصص: ١٢]، هنا شَكُّوا أنها تعرفه؟ فبادروها: وما يدريك أنهم له ناصحون؟! فتداركت وأجابت بسرعة وذكاء: إنما أردت أنهم ناصحون للملك. فالله درك يا أخت موسى؟ ويا لَلَّهِ قلبَك وأنت تنظرين للمراضع، كلُّ مرضعة تُلقمه الثدي، أيقبل أم لا؟! إنها لحظات صعبة، ومواقفُ لا تُحتمل من قلوب الرجال؟ فكيف بقلب فتاة عضة طرية، فهي ترقب وتنظر إليهن مرضعة بعد مرضعة، وكلما التمس ثدياً تركه، حتى إذا لم يقبل منهن جميعاً؛ والسبب في ذلك أن الله تعالى حرم عليه المراضع من قبل؛ وهذا التحريم يسمى عند العلماء التحريم القدري؛ وهو الذي لا يتدخل فيه الإنسان.

فالتحريم نوعان؛ الأول: تحريم شرعي؛ ويكون في الأشياء التي يحبها الله تعالى؛ وهذا التحريم قد يتدخل فيه الإنسان؛ بمعنى: أن الله تعالى قد يحرمه عليه، ومع ذلك يأتي هذا الحرام؛ وقد نص الله تعالى على هذا التحريم في القرآن؛ قال تعالى:{حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٢٣} [النساء: ٢٣]؛ فهذه محرمات حرمها الله تعالى، ومع ذلك فإن الإنسان قد ينتهك هذه المحرمات التي حرمها الله تعالى عليه.

كذلك قوله تعالى:{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ} [المائدة: ٣]؛ فمثل هذه المحرمات قد يتدخل فيها الإنسان وينتهكها؛ وهذا ما يسمى بالتحريم الشرعي.

النوع الثاني من التحريم هو التحريم القدري؛ وهو الذي معنا في هذه القصة؛ فإن الله سبحانه وتعالى قال:{وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ} [القصص: ١٢]؛ فهذا التحريم يسمى تحريم قدري.

لم؟

لأنه لا يستطيع أحد على وجه الأرض أن يتدخل فيه.

ولذلك لم يرض موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أن يشرب من أي مرضعة؛ فهو محرم عليه أن يلتقم أي ثدي إلا ثدي أمه، ولذلك لما علمت أخته ذلك فرحت، وأي فرح، فقد جاءتها المنحة السماوية فاستثمرتها مباشرة{هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ} [القصص: ١٢]؛ قالوا لها: من هم؟ قالت: أمي، قالوا: وهل لأمك ابن؟ قالت: نعم هارون وُلد في سنة لا يُقتل فيها الولدان؟ قالوا: صدقت فَأْتِ بِهَا، فانطلقت إلى أمها فأخبرتها، فانطلقت أمها معها حتى أتتهم، فناولوها إياه، فلما وضعته في حجرها أخذ ثديها يرضع، لقد لقم الثديَ يرضعه! فذهبوا يبشرون فرعون وامرأته.

انظر أخي في الله إلى هذا التحدي الإلهي؛ فإن فرعون علية لعنة الله كان يريد قتل الذكور دون الإناث حتى لا يذهب ملكه، وفي السنة

التي لم يقتل فيها ولد هارون عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وفي السنة التي أراد أن يقتل الذكور ولد موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، ومع ذلك لم يستطع عدو الله أن يمسه؛ بل تربى في بيته وأكل من بيته ولبس في بيته وشرب في بيته، وكان هلاك عدو الله فرعون على يديه. انظر أخي؛ من هذا الذي يستطيع أن يتحدى الله تعالى؟ انه إنسان مجنون مختل معتوه.

فسبحان مصرف الأمور، سبحان مقدر الأقدار، سبحان من إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، لقد جاءت البشارة، وجاء الوعد الحق{فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ} [طه: ٤٠]؛ رددناك إلى أمك، بفضل من الله ثم أختك، إنها الأخت المباركة على موسى وعلى أم موسى السلام،{ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا} [طه: ٤٠].

قال الإمام أبو عمر ابن حزم في الفِصَلِ: وقولها لأخته (قُصِّيهِ)، إنما هو لترى أخته كيفية قدرة الله تعالى في تخليصه من يدي فرعون عدوِّه بعد وقوعه فيهما، وليُتم بها ما وعدها الله تعالى من رده إليها، فبعثت أخته لترده بالوحي.

وقص الأثر هو: الاستدلال بآثار الأقدام والخفاف والحوافر. ويُعد من أهم أساليب اكتشاف الجرائم والحوادث الغامضة. وقيل: أن العرب كانوا يميزون قدم الرجل والمرأة، والبكر والثيب، والشيخ والشاب، والأعمى والبصير، **فقص الأثر علم كبير عند العرب وأهل البوادي**، ولهم في ذلك مهارة عجيبة، معتمدين على الفطنة، ودقة الملاحظة والذكاء الفطري.

ويحتل أهل قص الأثر مكانة عالية لما يقدمونه من دور كبير في استقرار المجتمع، من خلال الكشف عن كثير من الأسرار والحوادث الغامضة، وهناك قصاصون مشهورون تقوم الجهات الرسمية باستدعائهم لتتبع الأثر حين تدعو الحاجة إلى ذلك، وهم يتميزون بمهارات خاصة تمكنهم من أداء مهامهم بنجاح، حتى أن بعض من يقصون الأثر يميز بين أنواع الحيوانات تمييزاً يدعو إلى الدهشة: فهم قد يميزون بين أثر الجمل من أثر الناقة، فقدم الجمل تنهب الأرض نهبًا، بينما قدم الناقة تلامس الأرض بلطف، وأما الناقة الحامل فتكون خطواتُها ثقيلةً، وأيضاً هم يعلمون أن الجمل يبول إلى الخلف، بينما الناقة العادية يسيح بولها مع رجليها، وأما الناقة الحامل فإنها تنثر بولها على ذيلها فيتطاير، ويميزون كذلك الأعور من الإبل، أكان جملا أم ناقة بناء على طريقة السير، وطريقة الطعام، ويميزون بين أثر الذئب أو الذئبة، فقدم الذئبة أصغر من قدم الذئب، ويميزون بين الغزال وهو في طريقه إلى المرعى، والغزال الذاهب إلى النوم، وكذلك الأرنب.. وغير ذلك مما اشتهر وعرف في قص الأثر وتتبعه.

قال علماؤنا أعزهم الله تعالى: ومن الدروس أيضاً في قصة أخت موسى ما يلي:

أولا: جواز خروج المرأة في حوائجها، وجواز تكليمها للرجال إذا انتفى المحذور،كما في قوله:{ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ} [طه: ٤٠]، وفي قوله:{يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ} [القصص: ١٢]، مشروعية الكفالة.

ولكن هل يؤخذ من القصة جواز خروج المرأة بدون محرم؟

قال شيخنا الدكتور محمد الشنقيطي: في هذا تفصيل؛ أولا: إذا كانت المسافة التي ستقطعها المرأة اقل من مسافة القصر جاز لها؛ والدليل على ذلك أن أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن وأرضاهن كانوا يخرجن إلى المناصع للبراز، وهي تبعد عن المدينة ولكن دون مسافة القصر.

ثانيًا: إذا كانت المسافة مسافة قصر فما فوق فلا يحل لها أن تخرج بدون محرم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم.

فان قال قائل: إن الله تعالى قال:{ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ} [طه: ٤٠]؛ وهذا عام؟

قلت: هذا يجاب عليه من وجهين:

الأول: إن هذا في شرع من قبلنا، وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يأت شرعنا بخلافه، وقد جاء شرعنا بضرورة المحرمية للمرأة.

الثاني: أن هذه الآية عامة، وقد خصصت بحديث النبي صلى الله عليه وسلم : **"لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم** -. والقاعدة: يحمل العام على الخاص.

ثانيًا: يجب على كل أب وعلى كل أم أن تتقي الله تعالى في بناتها؛ فهذه أخت موسى عليهما السلام كانت وفية لأخيها لأمها لدينها، ومع الأسف فإن هناك أناسا حتى الآن يكرهون البنات، وهذه عادة جاهلية؛ ولقد جاء الإسلام بإبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من أذية البنات واحتقارهم؛ ولذلك حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم

بنت ابنته زينب في أشرف المواطن وأحبها إلى الله تعالى ألا وهي الصلاة؛ وفعل هذا صلى الله عليه وسلم لكي يهدم ما كان عليه أهل الجاهلية من أذية البنات واحتقارهم حتى كانوا يقتلونها وهي في الصغر. وكان الرجل إذا حملت امرأته وأرادت أن تضع الحمل قال لها: إن كانت بنتا فلا تسمعيني صوتها حتى كانت تضع البنت في الحفرة مباشرة بعد وضعها، فكانوا يقتلونها مباشرة، وهذا يدل على ما كان عليه أهل الجاهلية من شدة البغض للبنات واحتقارهم.

ولا يزال هذا المعنى الجاهلي موجودا في بعض الجهال؛ وقد تجد من بعضهم إذا ذكر البنت أو المرأة قال: أعزكم الله، فهذه جاهلية

لا يجوز للمسلم أن يتلفظ بها لسانه؛ فإن الله تعالى كرم بني آدم؛ قال تعالى:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾} [الإسراء: ٧٠]، وجاء رسول الأمة بالرحمة والعطف على البنات كما جاء بالرحمة والعطف على الذكور، ومن هنا تجد السنة ظاهرة في هدم هذا المعنى الجاهلي، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم :**"من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترا من النار "**[1].

ثالثًا: تؤكد هذه القصة لأخت موسى قدرةَ المرأةِ على فعلِ الأعاجيب، وقدرتَها على القيام بأمورٍ صعبةٍ متى أعطيت الثقة وفُتح لها الباب الشرعي.

(1) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (1352).

تمت القصة بعون الله تعالى

❊ ❊ ❊